موقف الإمام الحسين عليه السلام من بيعة يزيد "تأملات في رواية أبي مخنف الأزدي"

الأستاذ الدكتور
حسن منديل حسن العكيلي
جامعة بغداد ـ كلية التربية للبنات
aligeali@Gmail.com

مقدمة:

إنّ الكتابة الحسينية ولاسيما التأليف المعمّق له خصوصية وكل ما يتّصل بالإمام الحسين من عمل أو قول أو شعائر أو مجالس عزاء أو مسير الى كربلاء أو انشاء المواكب الحسينية. اذا كان ذلك كله عفويا صادقا لوجه الله تعالى ولإحياء الدين والحفاظ عليه من الانحرافات والدفاع عنه ومقارعة الظلم والطغاة، انّما هو توفيق من الله، وبركة من الله تعالى.

وإنّ الكتابة الحسينة مرحلة انتقال ينتقل فيها الكاتب الى فضاء آخر، ويجد نفسه طرفا في الصراع الأزلي بين الخير والشر، بين الجهل والعلم، بين الايمان الحقيقي والايمان السطحي. فالكتابة الحسينية الحقة مسؤولية كبيرة، وهي ليست كتابة عادية كسائر الكتابات انها منهج حياة ونظام كوني. وهي نوعان: نوع علمي وآخر عاطفي شعبي، وقد يكون أحيانا تكسبيا انشائيا وآنيا. ويبدو أنّ الذي يعي قضية الامام الحسين حقّا: العلماء ولاسيما الذين يغتصب حق ونحو ذلك. فضلا عن أعداء الإسلام الذين يريدون محوه لأنهم يجدون أتباع الحسين سدّا منيعا أمام تحقيق أغراضهم.

والخطاب الحسيني ينماز ببعض الخطاب القرآني منها: ان الكتابة والبحث والتأليف والتفكير بالقضية الحسينية عامة يسيرة لا تحتاج الى تخصص دقيق بقدر ما تحتاج الى ايمان بالقضية وروحية، والروحية هنا إسلامية ليست التي تتقاطع مع العقل وانما التي تتقاطع مع المادة والأطماع الدنيوية والانانية، وهي السمو الخلقي وتحمل المسؤولية مسؤولية الاصلاح العام وتصحيح الانحراف في المسار الإسلامي والإنساني عامة.

وينماز الخطاب الحسيني بأنه خطاب للإنسانية عامة يعلو ويسمو على المذهبية والفئوية والعنصرية والطائفية والاممية. وينماز أيضاً بتوليد الأفكار وانسيابها في كل اتجاهات عدّة،

وتتعدد أشكاله ومستوياته وفنونه كما سيأتي لكن يلتزم بمحورية القضية، ذلك لأنه حقّ لكن أكثر الناس لا يعلمون، (وأكثرهم للحقّ كارهون).

والخطاب الحسيني ينماز أيضا بخصائص أخر من خصائص الخطاب القرآني: هي الاستمرارية والثبات والتنوع، وعمومية الخطاب لمختلف المستويات والعقول والأمم من عرب وغير عرب، مسلمين وغير مسلمين من مثقفين وغيرهم، من جهلاء وعلماء من العامة والنخبة، وكذلك مستوى الخطاب متنوع الأغراض منه للنعي ومنه للتأثير بالمتلقي واثارة العواطف والحزن والبكاء، ومنه الخطاب الرفيع السامي الفلسفي المعمق البنيوي الأخلاقي، ومنه دروس في العبر والرقة والحماس والقوة في محاربة الظالمين والشدة ومقارعة الطغاة. ومن يشهد مسير الناس الى كربلاء في الزيارة الأربعينية ويشاركهم مشاعرهم سينتابه شعور ليس له مثيل في العالم عبر التأريخ: لا تجد لأنانية الإنسان مكانا بل تجد محبة وتآلفا وخدمة وتعاونا وتآزرا في ذلك الطريق كله فهو حقا طريق الأحرار. كل مكان وكل خيمة وكل موكب وكل طعام لكل السائرين بكل أنواعه تجلس اينما تشاء وتأكل في أي مكان عبر طريق طويل يمتدد ألوف الكيلومترات بالاتجاهات متعددة. يتفننون بخدمة بعضهم بعضا في تقديم الخدمات ويتنافسون في كسب السائرين. يتجرّدون السائرون الى كربلاء من كل انانية التي ترّسخت في الإنسان المعاصر.. ومع ذلك ثمة من لا يعي ولا يتدبر الموقف.

تمهيد:

أهمية كتاب أبي مخنف (مقتل الحسين عليه السلام) وروايته:

إنّ الرجوع الى المصادر الأولى والأصول في الكتابة الحسينية ودراسة أخبار الامام الحسين عليه السلام منهج علمي أكاديمي تهدينا الى حقائق كثيرة غائبة عن العامة، وتصحح مفاهيم كثيرة دخلت من خلال النوع العاطفي الشعبي والنوع المغرض المعادي في الكتابة الحسينية.

وتأتي أهمية البحوث والدراسات من نوع المصادر التي تستند اليها وتقيم الدراسة عليها أولا، وتبدو أهمية كتاب أبي مخنف (مقتل الحسين عليه السلام) وروايته من كونه كتابا متقدّما، ومن قرب مؤلفه وراويه من عصر المعصومين وتلمذتهما عليهم. فضلا عن توثيق الرواية من أهم المصادر المعتبرة كالكامل لابن أثير الجزري وغيره. اذ روى الكتاب هشام ابن محمد عن ابي مخنف وهما:

ترجمة المؤلف:

هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الازدي الغامدى الكوفي ابو مخنف (بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح النون كمنبر).. قال ابن النديم في الفهرست: لوط ابن يحيى الازدي يكنى أبا مخنف. وزعم الكشي انه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، والصحيح أن أباه كان من أصحابه عليه السلام وهو لم يلقه. وصنف كتبا كثيرة في السير منها: أخبار مقتل الحسين عليه السلام وكتاب المختار بن ابي عبيدة الثقفي، وكتاب مقتل محمد بن أبي بكر، وله كتاب مقتل عثمان، وكتاب الجمل وكتاب صفين، وغير ذلك من الكتب وهي كثيرة[١]. روى عنه هشام بن السائب، وهشام بن محمد الكلبي ونصر بن مزاحم المنقرى عن عمرو بن ثابت عن عطية بن الحارث وعن عمر بن سعيد عن أبي مخنف لوط بن يحيى.

وكان شيعيا اماميا كما صرّح بذلك جماعة، قال النجاشي: انه شيخ أصحاب الاخبار بالكوفة ووجههم وكان يسكن إلى ما يرويه معتد به يثبت حسنه، ولذا عده في الوجيزة والبلغة والحاوى وغيرها من الحسان[٢]. ويبدو لتشيعه عدّ لدى بعضهم من الضعفاء المتروكين الذي لا تؤخذ روايتهم كعادة أهل العامة. بل جعل تشيعه سببا لرد روايته كما هي عادتهم غالبا، قال صاحب القاموس في مادة (خ ن ف) وابو مخنف لوط بن يحيى اخباري شيعي تالف متروك انتهى ...[٣].

راوي الكتاب: هشام بن الكلبي:

هشام بن محمد بن السائب أبو المنذر الكلبي الاخباري النسابة، روى عن أبيه أبي النضر الكلبي المفسر وعن مجالد، وقيل: ان تصانيفه تزيد المائة والخمسين مصنفا، مات سنة اربع ومأتين.

ومن الرواة عنه محمد بن سعيد وولده العباس بن هشام، وكان واسع الحفظ جدا. وذكره ابن ابي طي في الامامية وقص له قصة مع جعفر الصادق عليه السلام، ونقل أبو الفرج الاصبهاني عن أبي يعقوب الحريمى قال: كان هشام بن الكلبي علامة نسابة وراوية للمثالب، وبلغت كتبه كما عدها ابن النديم في الفهرست مائة وأربعة واربعين[٤]. وقال فيه النجاشي: هو العالم بالأيام المشهور بالفضل والعلم، وله الحديث المشهور قال: اعتللت

علة عظيمة نسيت علمي فجلست إلى جعفر بن محمد عليه السلام فسقاني العلم في كأس فعاد الي علمي وكان أبو عبد الله عليه السلام يقربه ويدنيه- وينشطه[٥] .

مضمون نصّوص الكتاب[٦] والتعليق عليها:

قبل ذكر نصوص الكتاب والتعليق عليها لا بدّ من توطئة لمضمونها:

استجاب معظم المسلمين لمعاوية ولاسيما النخبة منهم الى بيعة يزيد، وأطلق الأميون على من لم يستجب لبيعة يزيد بالنفر، والمقصود بالنفر: الامام الحسين عليه السلام وابن الزبير وعبد الله بن عمر (رض)، وتسميتهم بالنفر استصغارا وتقليلا لشأنهم، واشارة الى قلّة عدد المعارضين لبيعة يزيد، لكن على الرغم من استصغار الأمويين لهذا العدد القليل، الا انه كان الشاغل الذي قضّ مضاجعهم، وكان يحول بينهم وبين استمرار ملكهم باعتلاء يزيد العرش. قال أبو مخنف: ((لم يكن ليزيد همة حين ولى الا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الاجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته، وانه ولي عهده بعده والفراغ من امرهم...)). ذلك ان استمرار ملك بني أمية مرهون ببيعة هؤلاء النفر أو القضاء عليهم. وان يزيد لم يتول السلطة رسميا الا بعد الفراغ من أمر هؤلاء النفر بحسب القوانين آنذاك. على الرغم من أنّ البيعة لم تكن معهودة في النظام الإسلامي لتعيين الخليفة انما كان المعمول به نظام الشورى ومن ثمّ البيعة استنادا الى الشورى، هذا لدى العامة أما لدى أهل البيت وأتباعهم فالوصية والنصّ بالإمامة. والبيعة ليست نظاما لم يعمل به المسلمون من قبل في بعض المواضع، لكن الأمويين كعادتهم يحيون ما يخدم مصالحهم من الشريعة والتأريخ الإسلامي ويخلقون البدع أحيانا، ليكون حكمهم شرعيا ويخدعون العامة به، فهم لا يحترمون البيعة، ولا يقف أمام أطماعهم واغتصابهم الخلافة شيء، لكنهم يريدون اضفاء شرعية إسلامية على حكمهم لخداع الناس، لذلك ألحّوا بطلب البيعة وسفكوا الدماء من أجلها .

مقارنة بين موقفي الامام الحسين عليه السلام وابن الزبير:

أهم ما في النصوص التي سنوردها من كتاب ابي مخنف انها توحي بموقفين شتان بينهما، الموقف المشرف للإمام الحسين عندما بدأت المضايقات عليه بعد موت معاوية مباشرة. وموقف ابن الزبير فموقف الامام غير موقف ابن الزبير الذي كمن وتحصّن في بيته

بين أهله وفتيانه، على الرغم من شدّة طلب الوليد اليه وتعنيف رسله إياه وشتمه وأهانته وتهديده بالقتل وهو يقول: الآن آتيكم، من غير أن يأتي حتى جنّ الليل وخرج مسرعا متخفيا مع أخيه جعفر متجنبا الطريق العام.

وان شدة الحاح الوليد اشارة الى أنّ مكانة ابن الزبير وموقعه لدى السلطة وفي نفوس المسلمين لا ترقى الى مستوى مكانة الامام الحسين عليه السلام. وليقينهم أنّ الامام الحسين أحقّ منه بقيادة الأمة، وأنه يطلب ما ليس له به حق مع وجود الامام الحسين، ولا أقصد تجريد ابن الزبير من مكانته الإسلامية الكبيرة، لكني قصدت طلبه ما ليس له به حق مع وجود الحسين عليه السلام.

ومهما يكن من أمر فإنّ موقف ابن الزبير وأهدافه وأسلوبه خلاف موقف الامام الحسين الشجاع الواضح برفض بيعة يزيد وعلم الجميع بأنّ الخلافة حقه المغصوب، وقد أخبر الوليد ومروان بامتناعه وجها لوجه، ذاهبا اليهما. وتتبين شجاعته أيضاً من خروجه بوضح النهار مع أهله وعشيرته سالكا الطريق الأعظم على مرأى السلطة وعلمها بعد تريث يومين ولم يغادر المدينة سريعا كما فعل ابن الزبير بحسب الرواية. ذلك انهم أهل بيت الوحي وآل النبي لا يمكن لحاكم المدينة وأهلها منعهم من الخروج. فضلا عن اتقاء الوليد مواجهة أطهر بيت على وجه الأرض.

إذن شتان بين الموقفين موقف الامام الحسين عليه السلام وموقف ابن الزبير. شتان بين الشجاعة ورباطة جأش الامام الحسين عليه السلام وحال ابن الزبير، وشتان بين الطريقين الذين سلكهما الامام وابن الزبير، اذ سلك الامام الحسين الطريق العام (الأعظم) لشجاعته ولمكانته ولأنه طريق رسول الله طريق النصر والفتوحات ولأنه القدوة للمسلمين. وأخذ أهل بيته والنساء والأطفال وخاصته معه لأمر هو يعلمه اختلف فيه الدارسون وما يزالون في اختلاف شديد وحيرة ذلك انه موقف ينبغي فيه الحفاظ على النساء والأطفال والضعفاء والأعزاء. أما ابن الزبير فقد خرج مسرعا مع أخيه في جنح الظلام بسرية تامة وعدم اثارة الشكوك، قبل خروج الامام الحسين بليلة، ناهيك عن الحالة النفسية التي كابدها ليلة هروبه والتشاؤم والجزع من خلال وصف حاله واستشهاده بالبيت المذكور في نصّ الرواية. وكأن جزعه يخيفه وظنونه بعدم العفو عنه لعدم بيعته أيام معاوية ولمعرفته بطيش يزيد وحبه للانتقام وليس هروبا من البيعة.

نص الكتاب والتعليق عليه:

((قال هشام بن محمد عن ابي مخنف: ولى يزيد في هلال رجب سنة ٦٠ واميرالمدينة الوليد بن عتبة بن ابي سفيان، واميرالكوفة النعمان بن بشير الانصاري، واميرالبصرة عبيدالله بن زياد، واميرمكة عمرو بن سعيد بن العاص[٧]. ولم يكن ليزيد همة حين ولى الا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الاجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته[٨]، وانه ولي عهده بعده والفراغ من امرهم ... وكتب يزيد للوليد بن عتبة في صحيفة كأنها أذن فأرة[٩] (أما بعد: فخذ حسينا[١٠] وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة اخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام[١١].

قال ابن مخنف رحمه الله[١٢]: (فارسل عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو إذ ذاك غلام حدث اليهما يدعوهما[١٣]، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتيانه في مثلها[١٤]، فقال: اجيبا الأمير يدعو كما، فقال له: انصرف الان نأتيه . ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال عبدالله بن الزبير للحسين: ظن فيما تراه بعث الينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها، فقال حسين[١٥]: قد ظننت أرى طاغيتهم قد هلك فبعث الينا ليأخذنا بالبيعة قبل ان يفشو في الناس الخبر[١٦].

فقال: وانا ما أظنّ غيره، قال: فما تريد أن تصنع ؟ [١٧]قال: اجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه ثم دخلت عليه، قال فاني اخافه عليه إذا دخلت، قال لا آتيه الا وانا على الامتناع قادر، فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد [١٨] وقال لأصحابه: إنّي داخل فان دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتحموا عليّ باجمعكم والا فلا تبرحوا حتى اخرج اليكم . فدخل فسلم عليه بالامرة ومروان جالس عنده، فقال حسين كانه لا يظن ما يظن من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما فلم يجبياه في هذا بشئ، وجاء حتى جلس، فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة، فقال حسين: انالله وانا إليه راجعون ورحم الله معاوية وعظم لك الاجر[١٩]. /ص٦/ أما ما سئلتني من البيعة فان مثلى لا يعطى بيعته سرا ولا اراك تجترئ بها منى سرا دون ان نظهرها على رؤوس الناس علانية، قال أجل . قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمرا واحدا[٢٠]،

فقال له الوليد وكان يحب العافية: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس[٢١]، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين فقال: يابن الزرقاء أنت تقتلني ام هو ؟ كذبت والله وأثمت، ثم خرج[٢٢] فمرّ بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله، فقال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبدا . قال الوليد: وبخ غيرك يا مروان انك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسينا، سبحان الله اقتل حسينا ان قال لا أبايع ؟ والله إنّي لا أظن امرءا يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة[٢٣]. . .

فأما حسين فقال: كفّ حتى تنظر وننظر وترى ونرى[٢٤]. واما ابن الزبير فقال لا تعجلوني فاني آتيكم امهلوني، فألحّوا عليهما عشيتهما تلك كلها واول ليلهما وكانوا على حسين اشد ابقاءا[٢٥]. وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالى له فشتموه وصاحوا به يابن الكاهلية والله لتأتين الامير أو ليقتلنك: فلبث بذلك نهاره كله واول ليلة يقول: الان اجيئ/ ٧/ . فإذا استحثوه قال: والله لقد استربت بكثرة الارسال وتتابع هذه الرجال، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وامره، فبعث إليه اخاه جعفر بن الزبير فقال: رحمك الله كف عن عبدالله فانك قد افزعته وذعرته[٢٦] بكثرة رسلك وهو آتيك غدا ان شاء الله، فمر رسلك فلينصرفوا عنا فبعث إليهم فانصرفوا . ص/٨/.

وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفرع[٢٧] هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب، وتوجه نحو مكة، فلما اصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج، فقال مروان: والله ان اخطاء مكة فسرح في اثره الرجال، فبعث راكبا من موالى بني امية في ثمانين راكبا فطلبوه ولم يقدروا عليه فرجعوا فتشاغلوا عن حسين بطلب عبدالله يومهم ذلك حتى امسوا . ثم بعث الرجال إلى الحسين عند المساء، فقال: اصبحوا ثم ترون ونرى، فكفوا عنه تلك الليلة ولم يلحوا عليه . فخرج حسيين من تحت ليلته وهي ليلة الاحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠ وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة خرج ليلة السبت فاخذ طريق الفرع فبينا عبدالله بن الزبير يساير اخاه جعفر إذا تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي[٢٨]:

وكـــل بـــني أم سيمســـون ليلـــة ولم يبـــق مـــن اعقـــابهم غـــير واحـــد

فقال عبدالله: سبحان الله ما أردت إلى ما اسمع يا اخي، قال والله يا اخي ما اردت به شيئا مما تكره، فقال: فذاك والله اكره إلى ان يكون جاء على لسانك من غير تعمد، قال: وكأنه تطير منه.

واما الحسين فانه خرج ببنيه واخوته وبنى اخيه وجل اهل بيته الا محمد بن الحنفية فانه قال له: يا اخي انت احب الناس إلىّ واعزهم على ولست ادخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بتبعتك[٢٩] عن زيد بن معاوية وعن الامصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وان اجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروء تك ولا فضلك، اني اخاف ان تدخل مصرا من هذه الامصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك واخرى عليك فيقتتلون فتكون لاول الاسنة، فإذا خير هذه الامة كلها نفسا وابا واما اضيعها دما وأدلها اهلا[٣٠]. قال له الحسين: فاني ذاهب يا أخي[٣١]، قال: فانزل مكة فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك وان نبت بيك لحقت بالرمال وشعف الجبال وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس وتعرف عند ذلك الرأي، فانك أصوب ما يكون رأياواحزمه عملا حتى تستقبل الامور استقبالا ولا تكون الامور عليك أبدا اشكل منها حين تستدبرها استدبارا. قال يا اخي: قد نصحت فاشفقت فارجو أن يكون رأيك سديدا موفقا[٣٢].... ثم ان الوليد بعث إلى عبدالله بن عمر فقال: بايع ليزيد، فقال إذا بايع الناس بايعت... فتركوه وكانوا لا يتخوفونه[٣٣].

قال: فلما سار الحسين نحو مكة قال: فخرج منها خائفا يترقب، قال رب نجنى من القوم الظالمين، فلما دخل مكة قال: فلما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل/١٢/...)) .

الخاتمة:

تناول البحث نصّا متقدما بالتحليل والتفسير لرواية أبي مخنف الأزدي حول موقف الأمام الحسين من بيعة يزيد وموقف ابن الزبير، ورحلتهما الى مكة المكرمة والمقارنة بين الموقفين. في كتابه: (مقتل الحسين عليه السلام). وقد بدأت بذكر النصّ كما هو، ومن ثمّ التعليق

عليه في الهامش لكي يتواصل القارئ مع النص ولا ينقطع عن النصّ، وقد اجتزأت قدرا من نصّ الكتاب الخاص بموقف الامام الحسين عليه السلام من بيعة يزيد، ومغادرة الامام المدينة المنورة الى مكة المكرمة، قبل توجهه الى كربلاء، وقد أطلق الأميون على من لم يستجب لبيعة يزيد بالنفر، والمقصود بالنفر: الامام الحسين عليه السلام وابن الزبير وعبد الله بن عمر (رض)، وتسميتهم بالنفر استصغارا وتقليلا لشأنهم، واشارة الى قلّة عدد المعارضين لبيعة يزيد، ذلك ان الرجوع الى المصادر الأولى والأصول في الكتابة الحسينية ودراسة أخبار الامام الحسين عليه السلام منهج علمي أكاديمي تهدينا الى حقائق كثيرة غائبة عن العامة.

وتأتي أهمية كتاب أبي مخنف (مقتل الحسين عليه السلام) وروايته من كونه كتابا متقدّما، ومن قرب مؤلفه وراويه من عصر المعصومين وتلمذتهما عليهم. فضلا عن تصحح مفاهيم كثيرة دخلت من خلال النوع العاطفي الشعبي والنوع المغرض المعادي في الكتابة الحسينية.

Abstract

This paper deals with the reaction of Imam Hussein to the allegiance of Yazeed. And the reaction of Ibn Al-Zubayr, and their journey to Mecca and the comparison between the two reactions. Through the novel of Abi Mkhanv Azadi in his book (the death of Hussein (p)) to prove the Hussein's Imama and divine impeccable and his role in correcting the path and maintain the Muhammadiyah message from extinction at the hands of the Umayyad, and complete the mission of the Prophet , so said the Prophet (peace be upon him and his family): (Hussein is from me and I am from Hussein) . The words of the Prophet singled out Imam Hussein and his great connotations needs a deep research.

I began by mentioning the text book as it is, and then comment on it in the margin in order for the reader to follow the text. Then I mentioned the comments and references to the text in the margin. ,following the way of interpretation and commenting on certain texts like many writers, a writing style that is more useful to the reader because it is linked to the text . They have taken some part of the text that deal with the reaction of Imam Hussein to the allegiance of Yazeed, and the Imam's moving from the Medina to Mecca , before going to Karbala. It is an independent research to participate in the conference in accordance with the terms of participation .

هوامش البحث

(١) ينظر: الفهرست ١٣٧، والمحقق الاردبيلى في كتابه جامع الرواة (ج٢ ص٣٣). وكتاب مقتل الحسين عليه السلام ٣٩٠.

(٢) ينظر: كتاب مقتل الحسين عليه السلام ٣٩٢.

(٣) قال العلامة الذهبي في ميزان الاعتدال ج٣ ص٤١٩ ما لفظه: لوط بن يحيى أبو مخنف أخباري تالف، لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدار قطني ضعيف، وقال ابن معين: ليس ثقة، وقال مرة ليس بشيء، وذكره العقيلى في الضعفاء (ج٤ ص٤٢٨)، ينظر تفصيل ذلك: مقدمة تحقيق كتاب مقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٩٥.

(٤) ينظر: ميزان الاعتدال، ج ٤ ص ٣٠٤. ولسان الميزان ج٦ ص١٩٦. وينظر مقدمة تحقيق كتاب أبي مخنف ص٣.

(٥) ينظر: تنقيح المقال ج٣ ص٣٠٣ ط المطبعة المرتضوية بالنجف الاشر.

(٦) النصّ منقول من كتاب: مقتل الحسين عليه السلام ص٢- ١٣.

(٧) ذكر أبو مخنف هؤلاء الولاة في مستهل كتابه، لدورهم في قصة مقتل الامام الحسين عليه السلام التي سيوردها مفصلة، وهنا اشارة الى قوة بني أمية وسطوتهم وكثرة حلفائهم وعمالهم وأكثرهم من بني امية نسبا. وانتشار جيوشهم في الشرق والغرب لفتح الأقاليم.

(٨) الدعوة الى بيعة يزيد ليس أمرا جديدا فقد كان معاوية يدعو اليها قبل موته، وهذا معلوم لدى عامة المسلمين، وان امتناع الحسين وغيره من مبايعة يزيد كان منذ عصر معاوية. وقد استطاع معاوية أخذ مبايعه السواد الأعظم من الناس ووجهائهم. الا النفر، وكانت المفاوضات في عصر معاوية مستمرة مع الامام الحسين لمبايعة يزيد بالترغيب والترهيب ذلك ان ملك بني أمية لا يستمر الا بمبايعة النفر ولا سيما الامام الحسين عليه السلام، وبعد موت معاوية كان على بني أمية لزاما حسم أمر البيعة ليزيد.

(٩) صحيفة كتاب يزيد في نعي معاوية تختلف عن صحيفة الأمر بالبيعة. الأولى صحيفة معهودة في الكتب الرسمية، أما الثانية فقصاصة صغيرة كأذن الفأرة اشارة الى طغيان يزيد ودلالة على استخفافه بالنفر واستضعافهم واذلالهم، وتعبيرا موحيا من خلال شكل القصاصة بقرص أذن الممتنعين. والا لماذا لم يرسل صحيفة رسمية عادية وهو ملك ذلك الزمان آنذاك وثروات الأرض تنتهي اليه. فليس بخلا ولا حرصا منه في الكتابة بالصحيفة المعدة للرسائل الرسمية، ولا سيما في أهم قضية في حياته وملكه. وتشير عبارته الموجزة: **(اخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا)** انه أمر لا بد منه مهما كان الثمن.

(١٠) ذكر الامام الحسين من غير تعظيم بأل أو بكلمة الامام أو عليه السلام أو رض وغير ذلك من العبارات التي تليق بمكانة الامام الحسين عليه السلام. من يزيد لكونه خصمه ولعدم اعترافه بإمامته ومكانته في الإسلام، بل كان ذلك من أهم أهدافه، على الرغم من معرفته بمكانة الامام الحسين وامامته لكنه يريد حجبها. ومهما يكن من أمر فان ذلك ليس غريبا من يزيد. لكن الغريب من صاحب الكتاب، كما سنرى.

(١١) ذكر ابن الزبير وابن عمر مع الحسين وتسميتهم بالنفر استصغارا وتقليلا لهم واذلالا واشارة الى قلة عدد المتنعين في بيعة يزيد، على الرغم من بيعة الغالبية العظمى الناس ووجهائهم له، وكان من أهداف الأمويين اذلال خصومهم لذلك قال الأمام الحسين قولته المشهورة: (هيهات منّا الذلة). والدليل على ان هؤلاء النفر كان الشاغل الأكبر للمعاوية ومن ثم يزيد ولبني أمية عامة. ويبدو أن رفض ابن الزبير لتحيين الفرصة والا هو يعلم أن الحسين أحق بها منه ومن غيره وانه كان يستشيره عندما طلبهما الوليد. ويبدو ان ابن عمر لا يبايع حتى يبايع الحسين لاعتقاده بإمامة الحسين عليه السلام، ولعدم رغبته بالخلافة لذلك لم يضيقوا عليه وتركوه ولا سيما ان رهطه أكثرهم حلفاء بني امية.

(١٢) مقتل الحسين عليه السلام ص٤.

(١٣) أرسل اليهما رسولا غلاما حدثا! وكان عليه الذهاب اليهم لمكانتهم الإسلامية الكبيرة في نفوس المسلمين. لكن الأمر مقصود بطريقة لا تليق بمكانتهما لتنفيذ طغيان يزيد وأسلوبه في عدم احترام كبار أئمة المسلمين والدلالة على تبييت الغدر بهم لوقول يزيد: **(اخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا)**.

(١٤) تشير العبارة: **(لا يأتيانه في مثلها)** الى دلالتين: مكانتهما لدى الوليد وكثرة مقابلتهما اياه في الشؤون العامة للمدينة وشؤون المسلمين. والى سرعة تنفيذ أمر يزيد بحيث لم ينتظر الوليد حتى أن يجلس فيكون الأمر طبيعيا أو ربما يدل على عدم حسن تصرف الوليد.

(١٥) الغريب أن مؤلف الكتاب والراوي يذكران الامام الحسين عليه السلام: (حسين) هكذا من غير عبارات تليق بمكانته الإسلامية وامامته للمسلمين كأل التعريف أو عبارة عليه السلام، على الرغم من تشيعهما وتلمذتهما للأئمة المعصومين كما تشير المصادر. وتفسير ذلك أما انّ النسّاخ رفعوا عبارات التعظيم عبر التأريخ لاسباب مختلفة، أو ربما كما قال ابن أبي حديد ان ابن مخنف ليس شيعيا اماميا.

(١٦) وهذا عين الأمر الذي طلبهما الأمير الوليد من أجله، وعلم الامام الحسين عليه السلام به اشارة الى انه معصوم ويعلم بما سيحدث عن جده وأبيه صلوات الله عليهم، والله أعلم.

(١٧) ابن الزبير يستشير الامام عليه السلام: اشارة الى أهمية رأي الامام الحسين عليه السلام وثباته في المواقف الكبيرة وحسن تصرفه اقرارا من ابن الزبير بإمامته عليه السلام وصواب رأيه

(١٨) فذهاب الامام الحسين عليه السلام بالحال وجمعه أهله وخاصته، اشارة الى: حذر الامام من غدر الأمويين. وتأكيد شجاعته وتحمله مسؤولية الأمة والتصدّي لها: فاما الحذر فلعلمه المسبق بغدر بني أمية ولا سيما أن مروانا كان حاضرا. وأما شجاعته وتحمّله المسؤولية فسأذكرها في هامش لاحق.

(١٩) جواب الامام الحسين عليه السلام: يشير الى دبلوماسيته. وتربيته الإسلامية الرفيعة فعند اخباره بوفاة معاوية ترحّم عليه بدءل وقدّم للأمير العزاء، على الرغم من علم الامام أنه طاغيتهم الأكبر وأنه سبب انشقاق الأمة وتلاحق الفتن على الأمة الإسلامية.

(٢٠) ثمّ أجاب الامام عليه السلام عن طلب الوليد الموضوع الرئيس الذي دعاه الوليد لأجله جوابا يعدّ قمة في البلاغة وفي مراعاة المقام والحال وافحام الأمير السائل بأسلوب السهل الممتنع والايجاز والاقناع ودقة

التعبير واختيار الألفاظ بعناية لأنه لقاء دبلوماسي سياسي يليق بمكانة الأمير أولا، ثم أنه لم يجب عن سؤال الوليد بالبيعة ولم يعجل الا بعد تقديم العزاء اليه بوفاة معاوية ثم قال: **(أما ما سئلتني من البيعة فان مثلى لا يعطى بيعته سرا)**.وهو جواب يراعي المقام ولم يجب بكلمته المشهورة فيما بعد: **(مثلي لا يبايع مثله)**. وهو امتناع بأسلوب بليغ مفحم بل يواري توبيخا للوليد وتلقينه درسا سياسيا معرضا بغلط الوليد مخاطبا اياه: **(ولا اراك تجترئ بها منى سرا دون ان نظهرها على رؤوس الناس علانية)، لذلك قال الوليد: (أجل... فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس)**. ذلك ان البيعة سرّا لا يصدقها الناس لعلمهم المسبق بموقف الامام الحسين عليه السلام من بيعة يزيد. قال الامام الحسين عليه السلام: **(فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمرا واحدا)**.

(٢١) اقتناع الوليد بقول الامام الحسين عليه السلام وتصديقه به مع يقينه بعدم اجابة الامام غدا، تشير أيضا الى مكانة الامام الحسين الكبيرة لدى الوليد ولدى المسلمين عامة، اذ قال الوليد لمروان – مستنكرا- حين طلب منه ارغام الامام على البيعة أو قتله: **(سبحان الله أقتل حسينا ان قال لا أبايع)**. وربما ليتجنب الوليد مواجهة الامام الحسين وبني هاشم الذين ينتظرون خارج قصر الامارة، وليقينه بأن الامام لا يبايع يزيد ولو قتل. ولعلمه أيضا أأنه مقتول لا محالة ولكن أراد يدفع عن نفسه ذلك الأمر الجسيم، ولعلمه بمحاولات معاوية السابقة في أخذ بيعة الامام الحسين من غير أن يفلح، لكونه أمير المدينة وعامل معاوية عليها. ناهيك عن اعتراض مروان وحث الوليد الى أخذ البيعة من الامام الحسين عليه السلام قسرا **مخاطبا الوليد: (والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه)**.

(٢٢) دليل واضح على شجاعة الامام الحسين ورباطة جأشه وقوة شكيمته ومكانته الكبيرة، ووثبته في قصر الامارة وخروجه من غير اعتراضه واهانته لمروان وشتمه اياه وتهديد الوليد **قائلا: ((يابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت، ثم خرج))**.

(٢٣) المجتمع الإسلامي ولاسيما في المدينة يعلم مكانة الامام الحسين وأهل بيت النبوة الطاهرين لا يجرؤ عليهم أحد مهما كان من أمر. ويعلمون أنهم بيت رئاسة وقيادة الأمة منذ عصرالنبي والامام علي والامام الحسن عليهم الصلاة السلام. ويعلمون أن معاوية اغتصب حقهم في خلافة جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله. ويعلمون الصراع القديم والحقد الدفين الذي كان يكنه بنو أمية منذ الجاهلية: كأبي سفيان وغيره ممن حارب الإسلام والمسلمين في عصر الرسول ص. ثم مقاتلة معاوية الامام علي عليه السلام ومن ثم الامام الحسن عليه السلام.

(٢٤) جواب بليغ مفحم مقنع ذلك ان البيعة مسؤولية كبيرة لا بدّ من اعلانها أمام عامة المسلمين، بعبارة وجيزة بليغة مبطنة بأمر وتنفيذه: **(كف حتى تنظر وننظر وترى ونرى)**.

(٢٥) مقارنة بين موقفي الامام الحسين عليه السلام وابن الزبير: لا يخفى على قارئ نصّ الرواية البون الشاسع بين الموقفين، فموقف الامام غير موقف ابن الزبير الذي كمن وتحصّن في بيته بين أهله وفتيانه، على الرغم من شدّة طلب الوليد اليه وتعنيف رسله إياه وشتمه وأهانته وتهديده بالقتل وهو يقول: الآن آتيكم، من غير

أن يأتي حتى جنّ الليل وخرج مسرعا متخفيا مع أخيه جعفر من غير طريق الأعظم الطريق العام. وشدة الحاح الوليد اشارة الى أنّ مكانة ابن الزبير وموقعه لدى السلطة وفي نفوس المسلمين لا ترقى الى مستوى مكانة الامام الحسين عليه السلام. وليقينهم أنّ الامام الحسين أحقّ منه بقيادة الأمة، وأنه يطلب ما ليس له به حق مع وجود الامام الحسين، الا اذا كان يتحين فرصة قتل الحسين فيقدم نفسه بديلا منه مستغلا الفتنة التي ستحدث والله أعلم. ولا أقصد تجريد ابن الزبير من مكانته الإسلامية الكبيرة، لكني قصدت طلبه ما ليس له به حق مع وجود الحسين عليه السلام. ومهما يكن من أمر فإنّ موقف ابن الزبير وأهدافه وأسلوبه خلاف موقف الامام الحسين الشجاع الواضح برفض بيعة يزيد وعلم الجميع بأنّ الخلافة حقه المغصوب، وقد أخبر الوليد ومروان بامتناعه وجها لوجه، ذاهبا اليهما. وتتبين شجاعته أيضا من خروجه بوضح النهار مع أهله وعشيرته سالكا الطريق الأعظم على مرأى السلطة وعلمها بعد تريث يومين ولم يغادر المدينة سريعا كما فعل ابن الزبير بحسب الرواية. ذلك انهم بيت الوحي وآل النبي لا يمكن لحاكم المدينة وأهلها منعهم من الخروج. فضلا عن اتقاء الوليد مواجهة أطهر بيت على وجه الأرض. وكان خروج الحسين من المدينة مصطحبا أهله وخاصته ليس هروبا أو خوفا، لكنه يشير الى أن المدينة المنورة لم تكن آمنة. ويشير خروجه وأهل بيته الأطهار الى التحضير لمواجهة يزيد وقتاله، وهي معركة لم تحسم بعد منذ المعارك التي شنها آباء يزيد وأجداده على النبي محمد ص جدّ الامام الحسين، ومن ثمّ على أبيه الامام علي وأخيه الامام الحسن صلوات الله عليهم، وقد شارك الامام الحسين ببعض هذه المعارك كمعركة صفين والجمل وغيرهما. فهو قائد عسكري خبر الحرب وإن قادة الجيش الذين قاتلوا مع أبيه وأخيه ما يزالون موجودين، لكنهم يحتاجون الى من يجمع صفوفهم، وتؤكد الأخبار والروايات تأهب الكثير من أتباع أهل البيت والقبائل لقتال يزيد وبني أمية، لكن دهاء بني أمية حال بين هذه الجيوش المستعدة وقائدهم الامام الحسين بالتضييق عليه واجباره على سلوك الطريق الذي سلكه الى كربلاء وتحديد منطقة كربلاء لملاقاته وحيدا غريبا منفصلا عن الجيوش المتأهبة للقتال معه.

(٢٦) اذن شتان بين الموقفين موقف الامام الحسين عليه السلام وموقف ابن الزبير. وشتان بين الجوابين جواب الامام الحسين الوجيز البليغ كأنه أخبر به من قبل، شتان بين الشجاعة ورباطة جأش الامام الحسين عليه السلام وحال ابن الزبير، وبين الصدق والتمويه وبين تحمل مسؤولية قضايا الأمة وبين التضحية وحب الذات. وبين رحيل الامام الحسين عليه السلام علانية ورحيل ابن الزبير في جنح الظلام بطريق الفرع.

(٢٧) أخذ الامام الحسين الطريق العام (الأعظم) لشجاعته ولمكانته ولأنه طريق رسول الله طريق النصر والفتوحات ولأنه القدوة للمسلمين. وأخذ أهل بيته والنساء والأطفال وخاصته معه لأمر هو يعلمه اختلف فيه الدارسون وما يزالون في اختلاف شديد وحيرة ذلك انه موقف ينبغي فيه الحفاظ على النساء والأطفال والضعفاء والأعزاء. أما ابن الزبير فقد خرج مسرعا مع أخيه في جنح الظلام بسرية تامة وعدم اثارة الشكوك، قبل خروج الامام الحسين بليلة، ناهيك عن الحالة النفسية التي كابدها ليلة هروبه والتشاؤم والجزع من خلال وصف حاله واستشهاده بالبيت المذكور في نصّ الرواية. وكأن جزعه يخيفه

وظنونه بعدم العفو عنه لعدم بيعته أيام معاوية ولمعرفته بطيش يزيد وحبه للانتقام وليس هروبا من البيعة. أما الامام الحسين فهو بدأ رحلته تحضيرا لخوض المعركة الفاصلة وحشد القوى المؤمنة وتوحيد المسلمين، فلا بدّ من اصطحاب أهل بيته فهي رحلة لا عودة لهم منها الا بالقضاء على الأمويين وطواغيتهم. ان مكانة ابن الزبير الإسلامية كبيرة وله اتباع وتأريخ إسلامي مشرف وقربى من الرسول ص وصحبة طويلة وجهاد ومع ذلك لم يرق الى موقف الامام الحسين في هذه الفتنة.

(٢٨) - البيت يشير الى جزع ابن الزبير والى حالته النفسية وفزعه، واسم قائل البيت أشد دلالة على الذعر والمرارة: صبرة الحنظلي

(٢٩) (في الكامل: ببيعتك).

(٣٠) موقف ابن الحنفية أخي الامام الحسين ليس بعدم الرحيل كما يشيع بين بعض الدارسين لكن من باب الشورى ومناقشة الأمر وكيفية الرحيل والاتجاه ولا سيما ان موعد الحج يقترب وكان الامام الحسين عليه السلام يحج كل عام لأداء فريضة الحج ومقابلة الناس هناك. فضلا عن تحضير الامام للمعركة ولردّ الحق المسلوب ولخلاص الإسلام من الفاسقين، ولا بدّ من بقاء قائد يعتمد عليه في المدينة وبيوت بني هاشم يرعى مصالحهم ويأخذ دوره في المعركة.

أما نصيحة ابن الحنفية لأخيه الامام الحسين عليه السلام فتشعر بإيمانه بحق أهل البيت بقيادة الأمة ووجوب ردّ الحق المسلوب، ايمانا بأنّ الامة لا يقودها الا امام العصر وخليفة رسول الله ص: الامام الحسين عليه السلام، لكنه أشار برأي وأسلوب وطريقة وخطة لبلوغ الهدف غير طريقة الامام الحسين وهي الاختفاء في البراري والجبال وتحين الفرص والدعوة الى بيعة الحسين حتى يتبين الأمر ويأتي النصر شيئا فشيئا. ولكن الامام الحسين يعلم أنّ يزيد وبني أمية همة ليس لهم همة حتى القضاء على الامام الحسين حتى لو أعطى بيعته. ذلك ان بيعة الامام الحسين تعني بيعة المسلمين في مختلف الأمصار. ولشدة الأمر على ابن الحنفية أشار الى طريقة أخرى هي الاتجاه نحو مكة والاحتماء ببيت الله والحجيج والمعتمرين.

(٣١) إن إصرار الإمام الحسين على التوجه تلقاء كربلاء على الرغم من نصائح أخيه ابن الحنفية وبعض وجهاء المدينة المنورة وغيرهم وحتى ابن عمه وسفيره مسلم بن عقيل رض الذي أراد العودة من مهمته التي بعثه فيها الحسين الى الكوفة في لحظة تطيّر من موت الرجلين الدليلين على الطريق عطشا، فضلا عن الأخبار غير السارة الواردة من الكوفة كما سنرى، لكن الامام الحسين عليه السلام أمره بمواصلة مهمته الى الكوفة. ذلك أن أسباب إصرار الإمام الحسين لكونه تكليفا الهيا، ولإجماع المسلمين على رفض يزيد ذلك أن توليته خرق لنظام الدولة الإسلامية الذي وضعه الرسول صلى الله عليه وآله بوحي من الله تعالى، وهو نظام الشورى وليس نظام وراثة الحكم، ناهيك عن أن سيرة يزيد تتقاطع مع أن يكون أميرا للمسلمين. وكان من واجب الامام الحسين التصدي والحيلولة دون ذلك بصفته امام عصره، فضلا عن اغتصاب حقه وحق المسلمين وحرصه على أداء واجبه، ناهيك عن اضطراره وتضييق الامويين عليه. أو ربما كان الامام الحسين عليه السلام السفير مسلم اضطرارا لقطع جيوش يزيد وأعوانه كل السبل حتى العودة منعت على الامام

لان الأوامر الصادرة هي استدراج واكراه الامام الى ارض كربلاء الخالية، ليفعلوا فعلتهم التي قصمت ظهر الامة الإسلامية.

(٣٢) أثنى الامام على رأي أخيه وشكره، وكلمة (أشفقتت) تشير الى خشية ابن الحنفية على أخيه وأهل بيته لمعرفته بشدة الأمر على أهل البيت عليهم السلام.

(٣٣) موقف ابن عمر رض يشير الى ان بيعته مرتبطة ببيعة الامام الحسين لعلمه بأنه الامام الحقّ الذي ينبغي أن يتبع وأنه الأحق منه ومن ابن الزبير فضلا عن كونه لا يرغب بالتصدي للأمر، لذلك تركه الوليد ولم يضغط عليه، ناهيك عن أن رهطه أقرب الى بني أمية فلا يخشونهم. وانما يزيد أمر بأخذ بيعته مع الامام الحسين وابن الزبير لمكانته الإسلامية واحترام المسلمين له ولعلمه وحفظه القرآن والحديث الشريف فان بيعته تقوية، واقناع الأمة الإسلامية بصفته بديلا من بيعة الحسين عليه السلام على طريقة الامويين بالدعاية واعتماد ما يمكن اعتماده من علماء الأمة والصحابة رض. وان اختلقوهم.